

شعر

٢

قصائد

ممدوح عدوان

تقاسيم العتابا

ما الذي ظل لك ؟
بعد أن ضعت في زحمة الشعر والهَمِّ ،
أو بعدما انهرت في بغتةٍ ،
وفقدت الشهية للأكل والعيشِ ،
ضيعتَ من ظُلكُك ؟
أتهيم لتبحث عن ظل عابرةٍ لتداعبه
أو ظل بيت قديم تساكبه ،
ظل حلم قديم ،
تعوض ما قد أضعت
لكي لا تكون معرّى

ممدوح عدوان، شاعر سوري - دمشق

ولا ظلّ لكُ ؟
كنت تعرف أنك جمع غفير
وأنتك شخص كثير
ولا تعرف الآن ما قلّلك .
والسخاء الذي كان يعطى ببذخ
لسقط المتاع
ويعمي عن الجوع والعوز
قد قلّ لكُ
والعواطف وهي تغاوبك ساخنةً
قد ذوت ،
أصبحت كيبابٍ وقِيظٍ .
وأنت الذي صرت وحدك
طيفاً يهيم ولا جبلاً لكُ
لا سهل لكُ
تنوهم أنك نجم السماء
الذي كان يسطع في عتمة الكونِ
تمضي بوهجك تغوي النجومَ
وتحلم بالغد يسطع في مجد ذريةٍ ،
تتساءل : أين مضى عنك بدر الدجى
والذي ذات يوم
أتاك هلالاً مشوقاً ،
وعند الفواجع في ومضةٍ
هلّ لك ؟
تتساءل أين مضى نغم راقص كان بين الأغاريد
قد هلّلك ؟
وتعود وحيداً
فتفتقد الصحب والأهل
تصبح لا أهل لكُ
وتظل كأنك في ليلة العصف فُطّعت
من شجرٍ
حيث تذوي حزيناً ،
وأنت ترى خضرة في كل صوب

فتدرك أنك
لا أصل لك .
أو تبقى صموتاً
تغادر نفسك في رحلة
ثم ترجع كي تتدفأ من فتك عاصفة
وتعوض عن عائل أهملك
تتلفع بالعمم من لسعة النور
تسعى وتحمل قنديل تلك الضحية
كي لا يصادمك المبصرون ،
فأنت الذي صرت تعرف أنك لا عتم لك
تتلفع باليتم كي لا ترى ومضات الحنان
لدى ما يشبه الأم ،
أنت الذي لا أم لك .
ثم تبقى لكي تتدفأ ذكرى أبيك وأمك
تمسك فاجعة الموت وحدك

وتحس بأن الحياة التي كنت تعشق
لم تكن لك مثل وعود بها أملك .
لم يعد لك أن تتدلل غنجاً عليها
كما كنت تحرن
حين تسابق ركضك نحو الهروب
تناديك مغوية : هيت لك .
وتقدّم قميصك من دُبرٍ
لأنك عجّلت خطواً ،
وأن يديها تهالكتا تحت شهوتها
حيث لم تصلا قُبلك .
كنت تسرع في الشعر نحو أمانيك
وجاء إليك الذي مهلك
يدعي أنه ،
ولغير غواية شعرك ، قد أهلك
وهو من كان قهراً عليك
أتى ليقول : اترك اللغو ،

واطمح إلى غير ما أنت فيه
خذ القلب لك .
هي ذي الخاتمة
أنت لا ظل لك
أنت لا أهل لك
ولعلك لا تعرف الآن من للتشرد
أو من لغربتك الأبدية وسط ذويك
ووسط أغاريدهم ،
من لهذا العذاب المرير ،
تُرى أهلك ؟
والذي كان هلهل شعرك
كان يظن بأن هلهلك
وهو من قبل أن يسترد نصيحته
غرق الآن في صمته ..
أتراه تمنع عن كلمة ستواسيك ؟
أم يا تُرى
هل هلك ؟
|||

الانحناء

ينحني السكران إن تعتعه الشرب
وقد أفرغ كأسه .
ينحني الفلاح كي يقلع بؤسه .
ينحني ، يغرس خيراً ، حيثما يضرب فأسه
ينحني الحداد كي يحني حديداً حامياً ،
وبه يطعن يأسه .
ينحني الجندي في المتراس
فوق القاذف الناري
كي يشهر بأسه .
وحده الشاعر لا ينطق
إلا حينما يرفع رأسه

xxx

إرفع الباب قليلاً سيدي
كي أمر الآن من غير انحناء
كلماتي عمرها لم ترني
منحنياً ،
فهني في رأسي وتنداح إلى قلبي الهني دون عناء
وإذا طأطأت رأسي
تتهاوى الكلمات
من فمي مفعمة بالازدراء .
وإذا ما رفعت الرأس كي أنطق شعري بعدها
قد لا ألقى غير أشباح خواء
وكلام من رياء .

عزف منفرد

مرة أخرى وحيدا
مرة أخرى سعيدا
عندي الكأس ،
على حافظته ترسو أمانني وقلكي
لست أحتاج إلى الساقبي
ولا أن أدعي زهدي ونسكي
يطفح الكأس بما فيه
فأرتاح إليه
وعلى صفحته أبصر ما قد أشتهيه
لم أعد في حاجة للندماء
ليس لي عاشقة تدفئ قلبي
وتؤاويه شريدا
سأكون اليوم حراً وفريدا .
ما أرى في العتم ،
مما لا يراه الناس ،
ملكي
ثم لن أحتاج تصديق أحد

حين أنضو عن غموض الليل أستار السواد
وأرى ما يختفي عني
وما أحتاج أن أبصر منه
ثم أحكي
ما أرى من معجزات .
سوف أجتري الأمانني
والأغاني
وأعاني
حسراتي حين أندم
لنساء لم أعانقهن ،
أو عانقني دون اشتها
سأرى راقصات خارجات من جفوني
سأرى رتل نساء
فأعري من أشاء .
ليس لي من أصدقاء
ليس لي من أحد أكمل كأسه معه
دون عناء .
لست أحتاج إلى من سيغني ،
إنني أطرب للصوت
الذي أطلق في تعتعة السكر
وأرضاه غناء
ولذا أنفرد الآن بنفسه
علني أحكي وأحكي
وعلى نول ظلام القلب والوحشة أبقى
مفرداً أنسج أهلاً ورفاقاً ونساء
وبهم أبدأ ما أحسبه ليلاً جديداً ،
كنت أعني أنني مع هؤلاء
أبدأ العمر الذي يبدو جديداً ،
أبدأ الليل كما أنهيه فرداً ووحيدا .
لست أخشى أن يوافيني البكاء
ثم لن يخجلني أن أدفن الرأس
على أي غطاء

ثم أبكي .

شهقة

ما كان بحراً ما ارتقمينا فيه
لكن الفراش مومج أزرق
ما كان بحراً
غير أن الموج يرفعنا
وينزلنا
ويشيلنا زورق
ما كان ليلاً أو صباحاً
ضاعت الأزمان ،
لكني رأيت الفجر
في أفيائها أشرق
ما كان نهراً ما انجرفنا فيه
لكن دفع رغبتنا يبللنا
وكنت أظنني أعرق
ما كان طوفاناً
ولا مطراً
ولكن الرغائب أرعدت
صارت كما آلفتها
كانت بحيرة ما اشتبهت من العذوبة
كان فيها ما رغبت من البرودة والسخونة
كان فيها ما يليق بها
وقد آنستُ بحراً يستغيث من الظما
وبحيرة تغرق
والنهد وهو يلين بين أصابعي
أبرق
ساعدها حتى ترى مفتاح بهجتها
أساعدها على تلمس كل ما فيها
وكشف مكامن الشهوات ،

حين تشارف الأغوار تُجفل رهبة .. تشهق
نحن التحمنا خشية البرد
الذي عشناه في الأشواق
أسقطنا ستائر قشعريرة بردنا ..
هي راودتني
كي أغض عن التردد
غافلتني كي تسل رغائبي
ورضيت أن أسرق
ورأيت لمع الرعد في جسدي
تَحشُرُجُ ماردٍ يُخنقُ
وعلى تلاقي قبتين بصدرها قمران
غرَّب واحد
وشقيقه أشرق
وصحا نزيزُ في مسيل عروقتها
والخمر ترشح من دلاعتها
كما قد ترشح الخمر الشهية من لمى الدورق
فرح مشع طافح
من زغيبها اغرورق
أنا غصت فيها
كي أطير بها
ولكن أمسكت
وتشبت لتشدني للقاع
كانت
أينما لامستها
ترتد وسط تشنج فزع
وكأنها تُحرق
ثم ابتدت تشهق
وكأنها تغرق

ذاك الصباح

نسيت السرير الذي ضمنا

وأزحت الظلام

الذي لفنا

أشعل الجسدين زماناً طويلاً

فأطفأ فينا توهج أرواحنا

محوت تألق روحين فينا

ومحوت الكلام

الذي غافل الروح

واستمرأ الشجو

حتى استحالا رداءين

يلتف تحتهما كنه أسرارنا

محوت التشاغل عن وحدنا

خارج البيت

ثم اندفاع الجنون بلا أغطية

أهذي التي كانت الأمس سهرتنا المضنية ؟

على الأرض بعض رماد السجائر ،

فوق المقاعد ينتشر البزر والفسقن الحلبي ،

وبعض فتات الكلام العتيق

وبين الصحون تناثر قشر الفواكه والبيض ،

بعض الشهيق ،

وقشرة موز تدلت ،

وأمنية

أصبحت آسنة

وتحت الخوان أرى نصف تفاحة صدئت ،

وبقايا اللحوم تجمد دهن برودتها

ثم غفّ عليها البعوض ،

وهذي المنافض ملأى بأعقابها

والكراسي مقلوبة

وشيء من الخمر سال على الأرض ،

بعض الذباب على حمرة الشفتين

التي انطبعت فوق كأسك .

لم ننتبه ليلة الأمس

في الجو رائحة منتنة

أتى الصحو في عتمة الغرفة الساكنة
أتى الصبح ينبئنا أننا قد قضينا هنا ليلة داجنة
ونحن نظن بها ماجنة
هي الرغبات التي اشتعلت لتؤججنا
ولتبعد عن سمر الليل أشباح خيبتنا
اجتهدت أن تخبيء
كم ستصير إلى ليلة محزنة
أتى الصبح ، نبش ما في الخزائن
كي يكشف الستر عن ملل يتغلغل فينا
وكنا نغافله ،
ونغريه يلهو
بإطالة الشبق المتسرب
بين الشنايا
التي ابتدأت مثل ماضٍ سحيق
ومثل غدٍ مستحيل
وأصبحت الآن جاهزة راهنة
لقد كان فيك الذي يتأجج
يغري بأرغفة ساخنة :
أضاء الزوايا التي أعتمت
ألقُ المرأة الخائنة
يُشعُ ،
يحول كل النساء إلى شهوة فاتنة
نغافل وطء الزمان
ونغرق في لجة
نتستر بالموج فيها عن الصحو المؤذية
فكيف نسينا التدثر بالأغطية
ألا تشعرين بأن المكان هنا صار يحتاج للتهوية ؟
وأن الصباح أتانا ليعطي لغرفتنا نكهة الأقبية
وأنت تقومين من دفء ذلك السرير
بعينين ناعستين
ونهد تدلى من الثوب ،
شعر تشعث ،

رأسٍ تصدع
تلقين نحوي بنظرتك اللينة
وبعض من النهيدات التي علقت بستار الوسادة ،
بعض جنوني تناثر بين السرير
ونافذة تجلب الآن ضوءاً ثقيلاً
تسيرين نائمة

متجاهلة

إذ يعرّي صداع النعاس تفاصيل ما
قد تشهيتُ فيك ،
ما كانت ابتدأت صعبة الثَّيل مستعصية
ترين جمودي على الأرض
تخفين عني سؤالاً
أخبي في خاطري مثله :
أهذي التي كانت الأمس سهرتنا الماجنة ؟
كأنا فقدنا تآلفنا وسط ذاك الظلام
كأنا ، وفي وهج أرواحنا ، دوختنا هنا رقصة
وفقدنا تألق إيقاعها
ثم ماتت بهدأتنا الأغنية
كأنا ، ونحن نعابث أجسادنا ثم نعري ،
تعري لدينا نفور ومقتُ
كأنا ندمنا على هدرنا لقوانا
وما ظل للحب وقتُ
فليس الذي ضاع ليلة حب ،
ولكنه خلُم أننا عبر جسمين مشتعلين
نطوّف دنيا حميمة
ويأتي الصباح يزع بنا في وهاد وخيمة
وينسل منا ، ومن شح أحلامنا ،
عفنٌ من نوايا
ظننا بأننا سنهرب منه
بإشعال طيب ،
وَعود بخورٍ من الشهوات
ولكنه الآن فاجأنا

أنه ساكن دمننا
ما الذي تم ما بيننا ليلة أمس ؟
ماذا طفا في الوعاء
وقد عتبه ظمئي واغترف
ثم عبأنا
وتغلغل بين ثنايا الغرف
هو الصحو عبأ روعي بهذا القرف .